إسهام المسندين الجزائريين
في إحياء سُنَّة الرّواية عند المتأخّرين

د.عـــز الدين كشنيط
أستاذ بالمركز الجـــامعي لتمنغست

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وأبتدئ هذا البحث بما جرت به عادة أهل هذا الفنّ من تقديم حديث الرحمة المسلسل بالأولية، فأقول رُوِّينا بالسّند المتصل إلى النبي(ﷺ) أنّه قال: « الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ »[1]... وبعد

إنّ الحديث وعلومه من أجلّ علوم الإسلام وأشرفها، لتعلقها بثاني مصادر التشريع فيه، ولِكَوْن السُّنة بيان للكتاب، ووحيٌ ثانٍ بعد القرآن الكريم.

وقد قام بعبء تبليغه وخدمته ثلّة من خيار هذه الأمة ونجبائها، إذ كما خصّ الله تعالى هذه الأمة بكتاب عظيم، ونبي كريم، فقد خصّهما الله تعالى بفضله؛ فانتدب لها خدما من أسياد الرجال، فهذا يلزم نبيّه بشبع بطنه، وهذان يحملهما شديد الحرصِ على التناوب بين الغرس والدرس لئلاّ يفوقهما من العلم والحكمة فعل أو قول أوحال.

وممّا اختصّ به بعضهم دون بعض تتبُّع التنزيل بالاستظهار في الصدور، والتقييد في السّطور، وتطورت العناية بهذا الجانب من كلام النبي الكريم (ﷺ)، وانتشر التنافس فيها في الأمصار والأقطار، فكان لكل قوم طلائعهم، ومنتجبيهم، وقد كان للأمّة الجزائرية من ذلك الثلة المباركة، التي أبدت عناية فائقة بالسنّة النبوية في جانبيها المعروفين، وهما الرواية والدّراية، غير أنّ رواج بضاعة الفقهاء، وكساد سوق الحديث في مغربنا الكبير، قد أخفى ذكرهم، وهذا موضوع قصدت به إلقاء الضّوء على مظاهر ذلك الجانب المشرق الخفي من تاريخ الجزائر العلمي والثقافي، الذي نجهل عنه الكثير، على الرّغم من قربه الزّماني من أيّامنا هذه، وقد وسمته بعنوان (إسهام المسندين الجزائريين في إحياء سنة الرّواية عند المتأخرين).

ورأيت أن أتناوله الموضوع من خلال عناوين؛ أتكلم فيها عن بعض ما يخصّ أهل الجزائر من إسهام في الحفاظ على السّنة المشرفة، مركّزا حديثي على جانب الرّواية؛ لعلمي بقلّة من يأبه بالبحث في هذا الجانب من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية عند المتأخرين، بحثا أو ممارسة؛ حتى قال علامة الهند ومسندها شاه وليّ الله الدّهلوي حينما أراد التأليف فيه:" حداني على تأليفه احتياج أهل العصر إلى مثله، فإن هذا العلم صار في مثل عصرنا نسيا منسيا، وكاد أهل العصر بجهلهم بفضله يتّخذونه سخريا..."[2]

وأتبع ذلك بتوصيات موجزة عمّا أثمّناه من فتح باب البحث في هذا الجانب المهمل من مظاهر نقل العلوم من هذا البلد المبارك أو إليه.

أهمية الموضوع – يستمد هذا الموضوع أهميّته من خلال أمور عدّة:

أحـــدها – كونه متعلقٌ بالكلام عن ثلّة من المسندين الجزائريين المغمورين، الذي أحيوا العناية بالسنة النبوية رواية ودراية، داخل بلدهم وخارجه، فحقّ علينا إحياء ذكرهم، وإفشاء سرّهم، والتعريف بفكرهم.

يقول الإمام النووي في مثل هذا المقام:" وهذا من مطلوبات المهمات، والنفائس الجليلات التي ينبغي للفقيه والمتفقه معرفتها، ويقبح جهالتها؛ فإن شيوخ الرّجل آباؤه في الدين، ووصلة بينه وبين ربّ العالمين، وكيف لا يقبح جهل الإنسان بالوصلة بينه وبين ربّ الأرباب، مع أنه مأمور بالدعاء لهم، وذكر مآثرهم والثناء عليهم، والشكر لهم."[3]

وتلك سنّة قد حرص عليها كثير من أكابر المحدثين كالحافظ ابن حجر وغيره، حيث يقول في فاتحته كتابه (المجمع المؤسس للمعجم المفهرس):" أما بعد.. فإنّ كثيرا من سلف المحدثين اعتنوا بجمع أسامي شيوخهم، وتدوين أخبار كبارهم، فتغايرت مقاصدهم في الترتيب، فرأيت أن أحذوَ حذوهم، وأسير تلوهم، لأتذكر عهدهم."[4]

وذلك -أيضا- من باب العرفان لشيوخ التعليم ونقلة الميراث النبوي، وبعض الوفاء بحقوقهم؛ من خلال ذكرهم ومدحهم والتنويه بهم، والإعلاء من شأنهم، لأنّ أوّل أبوات تحصيل العلم والتوفيق إلى العمل محبتهم وتعظيمهم في النفوس؛ يقول التمنارتي في ذلك:"...فإنّ أولى الناس بالإحياء بالذكر من كان أصل سيادتك، وسبب سعادتك، ودليل رشدك وهدايتك، وأحقّ الناس بالشكر من دلّك على الله، وفتح لك باب رضى الله.."[5]، ويزيد الشيخ إدريس المنجرة ذلك وضوحا فيقول في فهرسته:" فإنّي أريد بعون الله وتوفيقه أن أسطّر في هذه الفهرسة ذكر بعض أشياخي في التعليم والتربية،... لغرض معرفة السّند في الرّواية، والطريقة في العمل والسيرة، وشكرا ومكافأة لنشر الإحسان، لما ورد أنّ من أسديَ إليه معروفا فذكره فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره."[6]

وثانيـــها - أننا نعالج جانبا من تاريخ نقل العلوم في هذا القطر الحبيب، ومعرفة مسارب وصول العلوم التي نقلت إلينا؛ خصوصا وأنّ الفترة التي تناولها هذا البحث مرحلة حرجة في تاريخ الجزائر، وتاريخ الأمة الإسلامية، وفي تسليط الضوء عليها، وعلى أعلامها، بيان لمراكز النشاط الفكري والعلمي فيها، وكشفٌ عن بعض أسرار المقاومة التي حفظت لأهل هذا القطر حصانته، وأبقته منيعا عن مختلف محاولات المسخ التي سلطت عليه طوال قرن وربع قرن.

وقد تُنْبِئُنا أيضا ببعض ما يمكن أن يكون السبب في تدهور حال أسلافنا، وتمكن أعدائهم منهم؛ كانشغالهم بالخلافيات، والتعصّب للمذاهب، والغلوّ في إحسان الظنّ بمقالات من يظن فيه الصلاح، وغير ذلك.

وثالثـــها - أنّنا نتكلّم في هذا الموضوع عن باقة من كتب توثيق الرواية، التي تحسب في رصيد هذا البلد العزيز.

ولا يخفى على المهتمين بالتاريخ للثقافة والعلوم ما تضمره بطون هذه الكتب من مواد خام، ومعلومات وتراجم نادرة، تمكّن من تشكيل صورة واضحة لكثير من مظاهر الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية والروحية والبرامج التعليمية، وغير ذلك مما يعوز المؤرخ؛ فهي مصدر مهمّ للمؤرخين والجغرافيين والمحدّثين، وهي الوصف الصادق لكثير من مظاهر الحضارة الإسلامية.[7]

يقول د. محمد بن عزوز في أهمية هذا الضرب من التصنيف:" والفهرسة لها أهمّية بالغة وفائدة عظيمة في حفظ نموذج تاريخي مهمّ عن حياة الشيخ العلمية، وذلك فيما يتجلى إخبارا عن حلقاته العلمية، ووفيات من تلقى عنهم العلم، وتواريخهم، والدروس التي كانوا يأخذونها، والكتب المعتمدة لديه، إضافة إلى الأسانيد والمرويات، وسرد الأحداث الواقعية، والخرافية أحيانا، والرّحلات العلمية وغيرها من الفوائد الجمّة التي تترجم واقعا ملموسا لحياة الشيخ، فهي من المصادر الغنية التي لا يستغني عنها طالب علم.

لهذه المزيّة اهتمّ بها العلماء كثيرا وجعلوها أكثر ترويجا، فقلما تجد شيخا إلا وله فهرسة، أو ثبتا، أو برنامجا يسجّل فيه تراثه العلمي."[8]

أولا – فـــنّ الرّواية، واختصاص الأمة الإسلامية بخصيصة الإسنـــاد.

الرّواية في اللغة نقل الكلام إلى شخص آخر وحمله إليه، واصطلاحا: نقل الحديث وإسناده إلى من عُزي إليه بإحدى صيغ الأداء، مثل حدثنا، أو أخبرنا، أو سمعت، أو عن ... [9]

وهو فنّ تناثرت مباحثه المختلفة في كتب علوم الحديث ومصطلحه، وقد رأى د.حمزة الميلياري أنّه يتضمّن مسائل (طريق تحمل الحديث، وكتابة الحديث، وضبط الكتاب، ورواية الحديث وشروطها، ومعرفة آداب المحدث، ومعرفة آداب طالب الحديث، ومعرفة علو الإسناد ونزوله.)[10]

وهذا الفنّ خبيئة إلهية اختصّ الله تعالى بها الأمة الإسلامية، لأنّ رسالتها رسالة خاتمة؛ إذْ لمّا كتب الله تعالى لدين هذه الأمة أن يُحفظ؛ يسّر لذلك أسبابه، فهدى علماء هذه الأمّة إلى ابتكار منهج فريد في نقل قرآنها، وسنّة نبيها(ﷺ)، وتعاليم دينها، وتراثها.

وإنّ العلماء حينما رأوا أنّ دينهم لا يسلم لهم إلا بنقول صحيحة، وفهوم صريحة، صرفوا ثمين أوقاتهم إلى العناية بالجانبين؛ فتأسس لهم من ذلك فني الرّواية والدّراية.

وإنّي لأرى في تلك الدقة البالغة وذلك المنهج المبتكر مظهرا إعجازيا يبين بعض (الأسرار الكيفية) للحفظ الإلهي لوحيه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩

غير أنّ هذا الفنّ قد وقع الإعراض عنه عند كثير من المتأخرين، لكونه –على رأيهم– قد استنفد أغراضه، ومن رقّ له منهم ذكر أنّ استبقاءه من باب الحفاظ على بركة الإسناد، والمحافظة على سنّة الاتصال فقط، غير أنّني رأيت له – بعد الاطلاع على كثير من دواوين المتأخرين في هذا الفنّ– فوائد أخرى كثيرة تجنيها الأمة من محافظتها على هذا التقليد العلمي العريق؛ بعضها تربوي، وبعضها الآخر علميّ بحت، ولا يتسع المقام لذكر ذلك كلّه، وأكتفي منه بالإشارة إلى الفوائد التاريخية العظيمة التي تحملها كثير من كتب توثيق الرواية عند المتأخرين، وأشهرها فهرسة ابن خير الإشبيلي، والمعجم المفهرس لابن حجر العسقلاني، وفهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني.

ثانيـــا – حظ الجزائر من علماء هذه الصنعـــة.

لا يسعفني المقام استقصاء جميع من كانت له رواية من أعلام القطر الجزائري، ولا غالبهم؛ لأنّ ذلك يتطلب عملية جرد دقيقة لعشرات من كتب توثيق الرّواية عند المتأخرين، لكنني سأكتفي بإيراد قائمة ممن ذكره الكتاني من الجزائريين في فهرسه، ثمّ أنتقي منهم بعض النماذج البارزة في هذه الصناعة، مبرزا فيها بعض مظاهر التميز في خدمة السنّة النبوية الشريفة رواية ودراية.

1- **بعض مشاهير المسندين من أهل الجـــزائر:** تكلّم الشيخ عبد الحيّ الكتاني عن كثيرين ممن أخذ عنهم من الأقاليم الإسلامية المختلفة، فذكر فيهم ثلّة من الجزائريين، وهذه قائمة بأسماء من ذكر في مقدمة فهرسه، على النحو المبين في الجدول رقم (01)، أضفت إليها آخرين ممن نسبهم الكتاني إلى بلاد أخرى:

قائمة بمشاهير المسندين من أهل الجزائـــر			
أحمد بن عمار	عبدالرحمن الثعالبي	أحمد بن قاسم البوني	
ابن جعدون	مصطفى الحرار	محمد بن مرزوق الحفيد	أبو الفضل بن الإمام
الندرومي	حمودة المقايسي	محمد بن عليّ الصنهاجي	محمد بن عبدالجليل
الغـــبريني	بن علي الزواوي	محمد بن علي السنوسي	محمد المقري الكبير
ابن العنابي	العباس بن صالح	أبو عبدالله بن العباس التلمساني	محمد بن مرزوق الجد
ابن حواء	يحيى الشاوي	محمد بن محمد الديسي	أبو رأس الناصري
ابن قنفذ	سقط المشرفي	محمدبن محمدبن أبي القاسم البوسعادي	ابن مرزوق الكفيف
المنورالمغيلي	الطاهر المشرفي	محمد بن المبارك الجزائري الدمشقي	محمد سعيد الزواوي
السنوسي	الهادي الشريف	عبد القادر بن محمد بن الأمين	ابن هارون المطغري
أبو طالب	شقرون المغراوي	محمد بن عبدالرحمن التحيبي	
أحمد المقري	عيسى الثعالبي	علي بن أحمدبن موسى	

مع التنبيه على أنّ الكتاني لم يذكر كثيرا من جزائريي المهجر في قائمته؛ كأبي مهدي عيسى الثعالبي المجاور بمكة، وابن العنابي محمد بن محمود الذي استوطن الإسكندرية، ويحيى الشاوي دفين مصر وغيرهم، و لم يذكر مسندي بلاد التوات، وما جاورها ومن الحواضر العلمية، وقد وزّع الكتاني بعضهم على مدن الجزائر وقراها، على النحو المبين في الجدول رقم (02): [11]

توزيع بعض المسندين الذين ذكرهم الكتاني على بعض مدن الجزائر	
الجزائر العاصمة	أحمد بن عمار – أحمد بن قاسم البوني – عبد الرحمن الثعالبي – ابن جعدون – مصطفى الحرار – حمودة المقايسي – الندرومي – الغبريني – محمد سعيد الزواوي – الشيخ بن علي الزواوي، وغيرهم.
تلمسان	ابن هارون المطغري – أبو عبدالله بن العباس التلمساني – أبو الفضل بن الإمام. محمد بن عبد الرحمن التحيبي – محمد بن عبد الجليل – الشيخ أحمد المقري – محمد المقري الكبير – محمد بن مرزوق الجد – محمد بن مرزوق الحفيد – ابن مرزوق الكفيف – المنور المغيلي – الشيخ السنوسي – وغيرهم.
قسنطينة	العباس بن صالح – ابن قنفذ – الهادي الشريف، وغيرهم.
معسكر	الطاهر المشرفي – أبو رأس الناصري– سقط المشرفي، وغيرهم.
قلعة بني حماد	محمد بن عليّ الصنهاجي.
وهران	شقرون المغراوي وغيرهم.
مستغانم	ابن حواء وغيره.
مازونة	الشيخ أبو طالب.

ومن المدن الجزائرية التي ذكر لها الكتاني –أيضا– حظوة ببعض المسندين:".. البليدة والمدية وبوسعادة وبرج بوعريريج."[12]

2- أبو مهدي عيسى الثعالبي أنموذج نوعيٌّ من المسندين الجزائريين المتأخرين:

أحببت أن أنتقي من بين جميع مَنْ ذكرت آنفا أنموذجا نوعيا من المشتغلين بفنون الحديث رواية ودراية، وغيره كثيرون، لا يتّسع المقام لذكرهم، وقد بلغوا في هذا الأمر شأوا دفع بعض العلماء إلى الغلوّ فيهم وتلقيب بعضهم بـــ(الحافظ)، ذكر ذلك في ترجمة بعض المتأخرين للشيخ أبي راس الناصري، وأبي مهدي الثعالبي، والمقري وغيرهم، ولست هنا بصدد مناقشة حدّ الحافظ وشروطه، فإنّ الزمان لا يزال ينقص، وعرى الدين تنحلّ عروة عروة، لذلك فإنّ تلقيب بعض المتأخرين بمثل هذه الألفاظ يومئ إلى عظيم قدر صاحب اللقب بين معاصريه، ولا مجال للمقارنة بينهم وبين المتقدمين، ممن نُحِل هذه الصّفة؛ وهذا أنموذج نوعيّ ممن اشتغل بهذه الصنعة، وبرز فيها وتميّز حتى قال فيه تلميذه أبو سالم العياشي:

إذا ما أَتَتْكَ النَّائِبَاتُ فَغَـــالِبِ *** بِفَخْرِ فُحُولِ العِلْمِ عِيسَى الثَّعَالِبِي

أبو مهدي عيسى الثعالـــبي (ت1080هـــ): هو عيسى بن محمد؛ أبو مهدي الثعالبي الجزائري، ثم المكي، المالكي، الأثري، والثعالبي نسبة إلى وطن الثعالبة من عمالة الجزائر العاصمة، وعشيرته ينتسبون إلى جعفر بن أبي طالب، جزائري الأصل، مكيّ الهجرة والمدفن، مات بها سنة 1080هـــ.

قال الكتاني:" هو مسند الحجاز والمغرب، والنادرة الفذّ، الذي كان حاله عن قوة العارضة واتساع الرواية يعرب، بحيث لا يعلم في ذلك العصر أعلم منه بهذا الشأن، ولا أكثر اطلاعاً ولا أتقن معرفة، مع التوسع في العلوم الأخرى، والدين المتين، والتصوّن والرفعة"[13]، وقد حُلّي بـــ "خاتمة الحفاظ"[14]، وقال فيه الزبادي في رحلته:" هو مسند الدنيا في زمانه".[15]

وقال عنه تلميذه ورفيقه في بعض أسفاره أبو سالم العياشي صاحب الرحلة المطبوعة:" عكف في آخر أمره على سماع الحديث وإسماعه، فجمع من الطرق العوالي، والأسانيد الغريبة، والفوائد العجيبة، ما لم يجمع غيره، وكتب الكثير، وسمع وأسمع من المسانيد والمعاجم والأجزاء ما لم يتفق لغيره مثل ذلك ولا قريب منه لأهل عصره."[16]

وذكر عنه أيضا أنه:" قرأ من الأجزاء الحديثية والمسانيد الغريبة ما صار به فرد وقته في رواية الحديث، وأُعْطِيَ القبول التام عند المشايخ وأصحابهم؛ بحيث لا يخلون عليه بشيء، ولا يضجرون منه عند إرادة سماع، وقد أخبرني أن شيخنا الأجهوري -مع أخذ الكبر منه غايته وضجره من طنين الذباب في أغلب الأوقات- كان إذا دخل عليه يبتدئه قبل أن يطلب منه السماع، فيقول له: شنف الأسماعَ؛ علماً منه أنه لا يأتي إلاّ لسماع حديث أو رواية غريبة، وما دخل على أحد قطّ من المشايخ فيخرج إلاّ بفائدة له وللحاضرين، ولو قيل إن مشايخه كانوا يستفيدون منه أكثر مما يستفيد منهم لم يبعد، لأن غالب استفادته منهم إنما هي الرّواية، وهم يستفيدون منه في درايته، وتحقيق معانيه."[17]

قال العياشي:" وقد أخبرني [أي: الثعالبي] أن الشيخ البابلي كان يقول له: ما وصل إلينا من المغرب أحفظ من الشيخ المقّري، ولا أذكر منك؛ فأقول له: يا سيدي إنما تقول ذلك لإنصافك."[18]

وقال العياشي:" لما استقرّ بمكة واستوطنها تفرّغ لنشر ما جمع، ونشر ما كتب، وإقراء ما قرأ، ولإسماع ما سمع، وجمع من عوالي السند وغرائب المسلسلات ونوادر التواريخ ما تقاصر عن أدناه هم أهل زمانه، وتتبع الخزائن الكبار بمصر والحجاز فاستخرج منها غرائب المصنفات، وقيّد الكثير منها، وانتقى الثنائيات والثلاثيات والرباعيات من الأحاديث وما فوق ذلك إلى العشاريات، من كثير من المصنفات أعلى ما فيها، وضبط من الأسماء والأنساب ما قلّ أن يوجد عند غيره، وأظهر من طرق الرواية ما كان خفياً، وبالجملة فهو نادرة الوقت، ومسند الزمان."[19]

وعلّق العياشي على ذلك فقال:" ولما علمت أنّي وإن اجتهدت فوق طاقتي، وطفت ما عسى أن أطوف على المشايخ لا يمكنني أن أجمع ما جمع، ولا أن أحصّل من النفائس ما حصّل، رأيت أنه قد كفاني المئونة، وأن الله قد جمع له ما كان مفرقاً: فرأيت كـــلّ العـــالمين كأنما *** ردَّ الإلهُ نفوسَهُمْ والأعصُرا..."[20]

وقال أبو سالم في وصفه أيضاً في الخطبة التي جعلها لكتابه (كتر الرواية):"...المبعوث في آخر الزمان لتحديد معالم الإيمان، المرجوّ من الله حياته في عافية إلى رأس المائة الآتية، ليكون من خير فئة، المجددين في كل مائة، فيحسن أن يقتبس له بالإشارة، على سبيل البشارة، من صريح العبارة، في قول خير من ركب العيس: لا مهديّ إلاّ عيسى."[21]

ولكلام العياشي هذا اعتباره التاريخي وقيمته العلمية؛ إذا نظرنا إلى أنّه كان من تلاميذ الثعالبي، الذين خالطوه ولازموه مدّة، وهو أيضا من أقطاب الرّواية، وممن وُصف بأنّه:" أحد من أحيا الله بهم طريق الرّواية بعد أن كانت شمسها على أطراف النخيل، وجدّد من فنون الأثر كلّ رسم محيل."[22]

ولعظيم دراية الثعالبي في فنون الرّواية؛ التمس منه جمعٌ من جلّة معاصريه من أكابر المسندين بتخريج ثَبَتٍ لشيخهم وشيخه؛ الحافظ المصري شمس الدين البابلي المشهور، فأجابهم إلى تخريج كتاب أسماه (منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد)، جمع له فيه أسانيده، وقد بذل فيه الوسع حتى ذكروا أنّه لمّا وقف عليه الشمس البابلي قال:" جزاه الله خيراً، قد عرّفنا بأسانيدنا التي كنّا لا نعرفها."[23] وقد كان هذا الكتاب عمدة من أخذ عن البابلي، والبابلي من أهمّ وسائط المسندين المتأخرين؛ لجمعه العلوّ المطلوب بين الرواية والدراية، قال الشاه ولي الله الدهلوي في ثبته الإرشاد:" أما البابلي فأجازني بجميع ما في منتخب الأسانيد -الذي جمعه الشيخ عيسى له- شيخنا الثقة الأمين أبو طاهر الكردي عن أبيه وعن العجيمي والبصري والنخلي كلهم عن البابلي."[24]

وقد جعل محدث المدينة المنورة ومسندها الشيخ فالح الظاهري وجود من أسماهم مسانيد الحجاز السبعة سببا في تقوّي علم الحديث في القرون الثلاثة الأخيرة، وجعل أوّلهم أبا مهدي الثعالبي.[25]

حفـــاوة العلماء بالرواية عن الثعـــالبي:

احتفى جمع كبير من أكابر زمان الثعالبي بالرّواية عنه، والاتصال به، نذكر منهم:

محمد تاج الدين بن القاضي عبد المحسن القلعي الحنفي المكي الطائي قاضي مكة، وصاحب الأوائل المعروفة باسمه.[26] ولا تزال أوائله تلقى رواجا وتقرأ إلى يومنا هذا لدى المتخصصين بهذا الفنّ.

ومنهم البرهان إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكوراني ثم المدني(ت1101هـــ)، صاحب الثبت الشهير (الأمم لإيقاظ الهمم)، ومسند القرن الحادي عشر وعلامته.[27]

ومنهم أبو سالم العياشي(1037- 1090هـــ) علامة المغرب، وصاحب الرحلة المشهورة (ماء الموائد)، و(إتحاف الأخلاء بأسانيد الأجلاء)، وغيرهما، وقد شغل بأخبار الثعالبي ومروياته قسطا وافرا من رحلته.[28]

ومنهم عبد الله بن سالم البصري أصلاً المكي إقامة (1050-1134هـــ)، مسند الحجاز، وصاحب (الإمداد بمعرفة علو الإسناد).[29]

ومنهم حسن بن عليّ العجيمي المكي؛ أبو الأسرار، صاحب (إهداء التهاني).[30]

ومنهم أحمد النخلي، أبو العباس أحمد بن محمد(ت1130هـــ)، صاحب (بغية الطالبين لبيان الأشياخ المحققين المدققين).

ومنهم محمد بن سليمان الروداني ثم المكي(1037- 1094)، الإمام المحدث المسند الرحال؛ صاحب (صلة الخلف بموصول السلف).[31]

3- جزائريون في سلاسل إسنادية مشتهرة:

أ- جزائريون مدار أسانيد لأثبات وفهارس مشتهرة: من ذلك فهرسة محمد بن سليمان الروداني، التي أسماها (صلة الخلف بموصول السلف)، وهي من أشهر تصانيف المتأخرين في كتب توثيق الرواية،[32] قال فيها الكتاني:" وفهرسته (صلة الخلف بموصول السلف) نادرة في بابها جودة واختياراً وترتيباً، ليس في فهارس أهل ذلك القرن الحادي عشر بالمشرق والمغرب ما يشابهها أو يقاربها؛ عدا كتر أبي مهدي الثعالبي، فأنه أجمع وأوسع، وبالجملة فنفَسُه فيها نَفَسُ المتقدّمين."[33]

وقد اعتمد الرّوداني فيها اعتمادا كبيرا على سلسلة رواة من أعلام الجزائر، وهي سلسلة شيخه أبي عثمان سعيد بن إبراهيم الجزائري المشتهر بـــ (سعيد قدورة) الموصلة إلى العلامة المسند ابن غازي العثماني المكناسي ثم الفاسي، ليتمكّن الروداني مِنْ خلالها مِنْ رواية غالب دواوين الإسلام، المروية بالقراءة أو بالسماع أو بالإجازة.[34]

ب- جزائريون في أسانيد المسلسل بالأولية: وهو حديث مهم لدى أهل هذا الفنّ، وهو أوّل حديث يرويه الراوية أو يثبته في كتابه؛ حفاظا على استمرار اتّصافه بشرط الأولية؛ أوليةً حقيقيةً، ليوصله كذلك إلى سفيان بن عيينة، لذلك يثبته جميع من يذكره في صدر كتابه، ويقدّمه على باقي مروياته الحديثية في فهرسته أو ثبته أو معجمه.[35]

اعتمد محمد بن سليمان الرّوداني على سلسلة من أعلام الجزائر، في سياقه حديث الرحمة المسلسل بالأولية قال:"ولنقدّم أمامها ذكر سند حديث الرحمة المسلسل بالأولية إلى ابن عيينة، حدثنا به شيخنا أبو عثمان الجزايري- وهو أوّل حديثه أسمعني إياه من لفظه- قال مسلسلا له: حدّثنا به أبو عثمان سيدي سعيد المقري، عن وليّ الله تعالى أبي العباس أحمد حجي الوهراني، عن شيخ الطريقة إبراهيم التازي[ثمّ الوهراني]، عن أبي الفتح محمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي المدني..."[36] إلى آخر السند.

ج- التسلسل بالجـــزائريين: المسلسلات هي الروايات والأسانيد التي وردت على صفات مخصوصة، جرت عادة علماء الرّواية ملاحظتها في أسانيدهم، والإشارة إليها؛ وبعضها متعلّق بانتماء غالب مَنْ في السلسلة إلى البلد الواحد؛ كالمسلسل بالدمشقيين، أو بالمكيين، أو بالمدنيين، أو بالعراقيين، أو بالمصريين، ... ومن بديع فوائدها؛ التعريف بأبرز رواة بلد معيّن في مختلف الطبقات، وعرفة حملة العلم فيه عبر التاريخ، والتواصل العلمي بين الأجيال المتعاقبة فيه، والعوائل العلمية، وغيرها من الفوائد.

المسلسل بالجزائريين : فمما يُذكر لأهل الجزائر في ذلك ما أورده الكتاني في فهرسه، في ترجمة شيخ الجزائر ومفسرها ومسندها سيدي العلامة عبد الرحمن الثعالبي؛ قال[الكتاني]:" أروي كل ما له بإسنادنا المسلسل بالجزائريين إلى الشهاب أحمد بن قاسم البوني عن أبيه عن أبي مهدي عيسى الثعالبي عن أبي محمد عبدالكريم الفكّون القسمطيني عن العلاّمة أبي زكرياء يحيى بن سليمان الأوراسي القسمطيني عن أبي القدس طاهر بن زيان الزواوي القسمطيني عن الإمام أبي العباس أحمد زروق عنه، ويروي الفكّون عن الأوراسي المذكور عن أبي القدس ابن زيان عن أبي محمد عبد العزيز بن غانم الصحراوي عن أبي مهدي عيسى بن أحمد بن يوسف المليكَش عن الثعالبي."[37]

المسلسل بالقسنطينيين : ومما يذكر من ذلك لأهل قسنطينة ما أورده الكتاني – أيضا- في ترجمة الشيخ أبي العباس أحمد بن قاسم البوني(1063-1139هـــ)، قال:" وقد وقفت على إجازة المترجم أحمد بن قاسم المذكور العامة لولده أحمد الملقب زروق ورفيقه محمد بن عليّ السعيدي الجعفري – نسبة إلى الجعافرة عرب بناحية قسمطينة – المعروف بمفتي قسمطينة، وهي في نحو أربع كراريس، اشتملت على فوائد وغرائب، عدّد فيها شيوخه، وأسانيد السّتة، وبعض المصنفات المتداولة في العلوم؛ أتمها سنة 1136، وقد أجازني بها المسند الناسك أبو محمد عبد القادر ابن محمد بن عبد الرحمن بن الأمين الجزائري عن مصطفى بن أحمد بن سادات القسمطيني عن السيد محمد المكي بن الشيخ سعد البوطالبي مفتي قسمطينة وقاضيها، عن السيد عبد الملك الراشدي عن عمه شيخ الجماعة بقسمطينة وقاضيها السيد عبد القادر بن محمد الراشدي، عن أحد المجازين بهذه الفهرسة السيد محمد بن عليّ الجعفري المذكور، قلت[الكتاني]: وهذا إسناد عجيب مسلسل بالقسمطينيين إلى المترجم، وهو عن أبيه ..."[38]

قال الكتاني:" ويروي الشهاب البوني عن أبيه عامة، وهو يروي عامة عن أبي الحسن عليّ الأجهوري، .. وعن أبي مهدي عيسى الثعالبي وغيره."[39]

وتكلم الكتاني عن سنده بكتر الثعالبي – أيضا- فقال:" ونتصل به مسلسلاً بالجزائريين القسمطينيين عن عبدالقادر بن الأمين الجزائري عن مصطفى بن سادات القسمطيني عن المكي بن سعد البوطالبي عن عبدالملك الراشدي عن عمه عبد القادر

الراشدي عن محمد بن عليّ الجعفري عن أحمد بن قاسم البوني عن أبيه عن أبي مهدي الثعالبي المذكور بأسانيده."[40]
وقد علّق الكتاني على هذا الإسناد فقال:" وهو مع نزوله عالٍ بتسلسله، وعظّم مقام معظم رجاله."[41] وذلك من فقهه وإنصافه.

ثالثا – جوانب من آثارهم في المحافظة على فنّ الرّواية عند المتأخرين.

أ– العـــناية باتصال أسانيدهم بصحيح البخاري: أبدى علماء الجزائر عناية تامّة في نقل صحيح البخاري، ورسّخوا في ذلك تقاليد عريقة، عقدوا فيها مجالس خاصّة في جوامع مخصوصة (أشهرها الجوامع الثلاثة في الجزائر العاصمة)، تُعنى برواية صحيح البخاري، ورُتّب للمشتغلين بذلك راتبا، وقد أطلق عليهم لقب (ناس الحضور)، وقد استمرّ هذا التقليد أيام الاحتلال الفرنسي، وقد ألقى علامة الجزائر محمد بن أبي شنب، بحثا خاصا بهذا الموضوع؛ ألقاه في مؤتمر المستشرقين عام 1905 بالجزائر، ذكر فيه استمرار ذلك التقليد؛ وأنّ الحكومة في تلك الأيام كانت تعين أناسا في مدينة الجزائر، مكلفين بقراءة صحيح البخاري، في أوقات معلومة، وفي الجوامع الرئيسية لمدينة الجزائر: ويعرف هؤلاء الموظفون بـــ(ناس الحضور)، ويشترط فيهم أن يكونوا من حملة الأسانيد المتصلة بالبخاري.[42] وهذه مجموعة سلاسل أسانيد أوصلت صحيح البخاري لأهالي مدينة الجزائر، ذكرها بن شنب في بحثه المذكور، كما يظهر في الشكل البياني رقم(03)[43]:

الشكل البياني رقم (03)

السلسلة الأولى	السلسلة الثانية	السلسلة الثالثة	السلسلة الرابعة
(البخـــــــاري)	(البخـــــــاري)	(البخـــــاري)	(البخـــــــاري)
24- الفربري	17- أبو النصر	11- الفربري	3- شمهورش قاضي الجنّ(*)
23- السرخسي	16- البرادعي	10- يحيى بن عمار الختلاني	2- عمر بن عبد الكريم المكي
22- أبو ذر الهروي	15- ابن أخت الوراق	9-محمد بن شاذبخت الفرغاني	1- محمد صالح الرضوي
21- أبوعبدالله محمد بن منصور القيسي	14- الوراق	8- بابا يوسف الهروي	
20- أبو الحسن بن محمد الرعيلي (أو الرعيني)	13- الإمام الفخار	7- أبو الفتوح الطاووسي	
19- أبوبكرمحمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن الفراج	12- أبو سعيد فرج	6- قطب الدين النهرواني	
18- أبومروان محمد بن أحمد بن عبد المالك اللخمي الإشبيلي	11- أبو جمعة	5- أبو الوفا أحمد بن محمد	
17- أبو فارس عبد العزيز بن ابراهيم	10- ابن مرزوق الحفيد	4- ابن عجيل اليمني	
16- الحسن بن سليمان القرطبي	9- ابن الإمام	3- محمدبن سنّة الأزهري	
15- أبوعبدالله الرايقلي	8- ابن الحوضي	2- عمر بن عبد الكريم المكي	
14- والد المذكور آنفا	7- ابن الإمام	1- محمد صالح الرّضوي	
13- والد المذكور آنفا	6- محمد بن الحاج اليدري	البخاري	
12- أبوعبدالله محمد بن أحمد السرّاج	5- أحمد بن ثابت		
11- ابن غازي	4- بن عبدالرحمن		
10- علي بن هارون	3- محمد بن سعد التلمساني		
9- سعيد المقّري	2- العربي بن علي المشرفي		
8- محمد المقّري	1- علي العمّالي		
7- عمار بن عبدالرحمن			
6- سيدي الهادي			
5- محمد بن سيدي هادي			
4- أحمد بن عمار			
3- محمد بن الحفاف			
2- عبدالرحمن بن محمد بن الحفاف			
1- علي بن عبد الرحمن بن محمد بن الحفاف			
إلى أهـــالي مدينة الجـــزائر			

ب- السعي إلى الجمع بين الرِّواية والدراية في التحمّل والأداء:

ومن النماذج الغريبة في ذلك ما يذكره الكتاني عن نادرة الجزائر أبي مهدي الثعالبي، في سياق سند الكتاني في رواية ما للدلائي، قال:" نروي ما للدلائي المترجم من طريق أبي مهدي الثعالبي صاحب (كتر الرواية) وهو عن شيخه وعمدته الإمام المحدث العلامة أبي الحسن عليّ بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي [الجزائري] عن المترجم[أي الدلائي]، إجازة منه له بكل ما له بعد أن لازمه 23 سنة، أخذ عنه فيها صحيح البخاري نحو 11 مرة، قال الثعالبي: كلها قراءة بحث وتحقيق وكشف وتدقيق، جلها سماعاً من لفظه مع شروحه وحواشيه لابن حجر والكرماني والقسطلاني وزكرياء والسيوطي والدماميني والزركشي والمشارق لعياض والاستيعاب ومسلم وشروحه والشفا وشروحها وغير ذلك."[44]

وهي سمة مميزة في أسانيد الجزائريين؛ فهذا الشيخ عبد الحيّ الكتاني يعلّق على الإسناد الذي أورده مسلسلا بالقسنطينيين بقوله:" وهو مع نزوله عال بتسلسله، وعِظَم مقام معظم رجاله."[45] وهو العلوّ المعتبر عند المحققين من أهل علوم المصطلح.

وهذا العياشي يقول في شيخه أبي مهدي الثعالبي:" وما دخل على أحد قط من المشايخ فيخرج إلاّ بفائدة له وللحاضرين، ولو قيل إن مشايخه كانوا يستفيدون منه أكثر مما يستفيد منهم لم يبعد، لأن غالب استفادته منهم إنما هي الرّواية، وهم يستفيدون منه في درايته وتحقيق معانيه."[46]

ج- المشاركة في التأليف في فنّ كتب توثيق الرواية:

كتب في هذا الفنّ ثلّة من أعلام الرواية الجزائريين،[47] أشهرهم:

الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس: له (برنامج) في ذيل كتابه (عنوان الدراية).

أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي أبو العباس البوني: له (إجازة لمرتضى الزبيدي)

عبد القادر بن المختار الخطابي المستغانمي: له فهرسة خرجها لشيخه بعنوان (الكوكب الثاقب في أسانيد الشيخ أبي طالب).

أبو مهدي عيسى بن محمد بن محمد جار الله الجعفري الثعالبي المالكي الجزائري: له (منتخب الأسانيد في وصل المؤلفات والأجزاء والأسانيد، مقاليد الأسانيد، كتر الرواية)

محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد أبو راس الراشدي المعسكري الجليلي: له (السيف المنتضى فيما رويته بأسانيد الشيخ مرتضى – لب أفياخي في عدّة أشياخي).

أحمد بن عمار الجزائري: له (ثبت- وإجازة).

المقري؛ سعيد بن أحمد أبو عثمان: له (ثبت).

الونشريسي أحمد بن يحيى أبو العباس: له (فهرسة).

عبد القادر المشرفي: له (ثبت).

علي بن عبد القادر بن عبد الرحمن بن علي بن الأمين الجزائري: له (ثبت).

عمر بن محمد الكماد أبو بكر الأنصاري القسنطيني الوزان: له (ثبت).

محمد البشير بن محمد طاهر البحائري التواتي: له (ثبت).

محمد بن محمد بن يحيى أبو عبد الله الكومي الندرومي التلمساني: له (ثبت).

محمد بن علي أبو عبد الله السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي: (ثبت)

أحمد بن سعيد أبو العباس العباسي: له (ثبت)

المختار بن خليفة الحدباوي الجزائري: له (ثبت)

محمد شقرون بن أحمد الوهراني: له (ثبت).

محمد بن محمود بن محمد بن حسين بن محمد العنابي: له (ثبت – إجازة لمحمد بيرم التونسي).

عبد الملك بن زيادة الله بن علي بن الحسين أبو مروان الطبني: له (فهرست).

عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي: له (الفهرسة – مختصر اللفهرسة).

عبد القادر بن محمد الراشدي: له (إجازة لمحمد مرتضى الزبيدي).

محمد بن محمد بن أبي القاسم العربي القسنطيني الميلي: له (فهرسة).

محمد بن عبد الرحمن التجيبي نزيل تلمسان: له (معجم- البرنامج الكبير- البرنامج الصغير- معجم شيخه الحافظ السلفي).

محمد بن عبد الكريم بن محمد أبو عبد الله المغيلي التلمساني: له (فهرست).

محمد بن عبد الله بن عبد الجليل أبو عبد الله التنسي: (فهرسة).

محمد بن قاسم بن عبد الله أبو عبد الله الأنصاري التلمساني الرصاع: له (فهرس) مشهور.

محمد بن علي حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي أبو عبد الله القلعي: له (برنامج)

ابن المفتي: له (تقييد)

يحي بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى ابو زكريا الشاوي: له (إجازة للمحبي [صاحب خلاصة الأثر]- إجازة لمحمد بن زين الدين الكفيري)

أحمد بن محمد بن علي أبو العباس الزواوي: له (فهرست)

د- المشاركة النوعية في تقوية النّشاط العلمي الحديثـــي:

ذكر الشيخ أبو اليسر فالح المهنوي في أول (أنجح المساعي) أن علم الحديث في القرون الثلاثة الأخيرة قد قويت شوكته وارتفع له أعلى منار، وذكر أنّ سبب ذلك بالديار الحجازية وجود مسانيد الحجاز السبعة؛ أولهم أبو مهدي الثعالبي، ويليه ابن سليمان الروداني ويليه قريش الطبرية ويليها أبو البقاء العجيمي ويليه الشمس محمد بن أحمد النخلي ويليه البصري.[48]

هـــ- إعادة إحياء مدرسة الحديث الأشرفية بدمشـــق: وهذا يجرّنا إلى الحديث عن علم جزائري جمع بين العلم والإمارة والتصدر للرواية أيضا؛ وأقصد بذلك الأمير عبد القادر الجزائري، الذي كانت له الأيادي البيضاء في إحياء مدرسة حديثية عريقة؛ من مدارس العالم الإسلامي؛ وهي دار الحديث الأشرفية في دمشق، فبعد أن قدم الأمير إلى دمشق مستوطنا وجد نصرانيا قد غصب جزءا منها، وهيأه ليودع بها خموره، فاستدعاه الأمير، وابتاعها منه، ورمّمها وأصلح أمرها، ثمّ سلّمها للشيخ يوسف بدر الدين المغربي، وأوقفها عليه وعلى عقبه سنة 1272هـــ، بسبب الجهود التي بذلها الشيخ بدر الدين في سبيل هذه الدّار، وقد افتتح الأمير عبد القادر التدريس فيها بالشروع في قراءة صحيح البخاري في أوّل يوم من رجب سنة 1274هـــ رواية، وكان يحضر درسه أكابر العلماء والنابهين من الطلبة، وقد ختمه في آخر يوم من رمضان، وشهد الختمة جماعة من العلماء، وأجاز كلّ من حضرها، فأنشد الشيخ يوسف بدر الدين في ذلك أبياتا منها:

بابُ القبُول لهذا الخَتْمِ قَد فُتِحَا *** فَلاَحَ مِنْ يُمْنِه بَدْرُ السُّعُودِ ضُحَى.[49]

ثمّ قرأه ثانية في هذه المدرسة، وهذا سنده الذي أجاز به من حضر تلك الختمة المباركة؛ ذكره الشيخ محمد الطنطاوي -وهو أحد المجازين- فقال:" أروي صحيح البخاري سماعا من أوّله إلى آخره في شهر رمضان سنة ست وثمانين ومائتين وألف، وذلك بمدرسة دار الأشرفية، عن سيدنا الأمير عبد القادر بن محيي الدين الجزائري، وهو يرويه من عدّة طرق، قال: أخبرني والدي مصطفى، قال: أخبرني الشيخ محمد مرتضى الحسني الزبيدي ثم

المصري، أخبرني شيخي المعمر أبو عبد الله بن سعد المدني، قال: أخبرني القطب محمد بن أحمد النهرواني، عن والده أحمد النهرواني.."[50] وباقي السند كما في السلسلة الثالثة المذكورة آنفا، قال الأمير بعد سرده هذا السند:"وهذا أعلى سند يوجد الآن على وجه الأرض".

و- التأليف النوعي في كتب فنّ توثيـــق الرواية:

وأبدع ما بلغنا خبره في هذا الباب ما ذكره الكتاني في وصف نسخة كان يمتلكها من المجلد الأول من كتاب (كتر الرواية المجموع في درر المجاز ويواقيت المسموع) لأبي مهدي الثعالبي. قال أبو الطيب الشرقي:" كتره هذا من أعظم الكنوز وأثمنها وأوعاها، في مجلدين."[51]

وقال تلميذه أبو سالم العياشي يصف الكتاب:" هذا تأليف سلك فيه مسلكاً نفيساً، ورتبه ترتيباً غريباً جمع فيه من غرائب الفوائد شيئاً كثيراً، وهو إلى الآن لم يكمل، وإذا منّ الله بإكماله يطلع في عدة أجزاء، والمسلك الذي سلك فيه أنه رتبه على أسماء شيوخه، يبدأ أولاً بالتعريف بالشيخ وذكر مؤلفاته ومقروءاته وأسماء شيوخه حتى يستوفي جميع ذلك، ثم يذكر مقروءاته هو عليه، وما قرأ عليه من المؤلفات، ثم يذكر سند شيخه إلى ذلك المؤلف، فيكتب شيئاً من أوله، ثم يعرّف بمؤلف ذلك الكتاب أبسط تعريف، مع ما يتبع ذلك من الفوائد والضبط، وكذلك يفعل في كل شيخ من شيوخه، وفي كل مؤلّف قرأه عليه، أو شيئاً منه، فاستوفى بذلك تواريخ غالب الأئمة المؤلفين وأسانيد مؤلفاتهم، وذلك مما يدل على اعتناء عظيم، وحفظ عظيم، ومطالعة واسعة. والحاصل أن هذا المؤلف نزهة الناظرين وغبطة السامعين ورغبة الطالبين..."[52]

وقد طلب المؤلف من تلميذه ورفيقه أبي سالم العياشي عمل خطبة للكتاب جعلها أوله، وقد أثبتها العيّاشي في رحلته (ماء الموائد).

قال الكتاني:" الجزء الذي عندي[53] ترجم فيه لأبي الحسن عليّ بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي الجزائري، وأبي الحسن الأجهوري، وأبي محمد عبد الكريم الفكون القسمطيني، والشمس محمد بن عبدالفتاح الطهطائي القاهري، والشيخ تاج الدين بن أحمد المالكي المكي، وأبي القاسم ابن جمال الدين القيرواني، وأبي عثمان سعيد بن إبراهيم الجزائري، المعروف بقَدُّورَة، استغرق المجلد كله تراجم هؤلاء الشيوخ السبعة، وذلك أنه يذكر ترجمة الشيخ ومقروءاته عليه، فإذا ذكر كتاباً ذكر طالعته، وعرّف بصاحبه، وبعض فوائده وأشعاره، إلى ضبط غريب، وذكر وفاة، وتحرير نسب ونحوه؛ مما صار به هذا الثبت حجة المتأخرين على المتقدمين، وديوان خير علماء الأمة أجمعين، ولو كمل لخرج في مجلدات عشرة أو أكثر، لأن أبا مهدي كان كثير الأشياخ."[54]

ويسهب المؤلف في الترجمة فيتوسع في تراجم من يذكرهم توسعا فائقا، حتى استغرقت ترجمة الأجهوري من هذا الكتاب سبعة كراريس.[55]

وقال الكتاني في سياق وصفه صلة الخلف للروداني:"..ليس في فهارس أهل ذلك القرن الحادي عشر بالمشرق والمغرب ما يشابهها أو يقاربها عدا كتر أبي مهدي الثعالبي فإنه أجمع وأوسع..."[56]

ز- الريادة في التعـــريف بهذا الفنّ في المؤتمرات العالمية للمستشرقين:

والأمر ينصرف رأسا إلى الجهود التي بذلها الشيخ العلامة ابن أبي شنب في التعريف بهذا الفنّ عند الغربيين، وكنت قد رصدت الدراسات التي تتبعَتْ فنّ الرواية عند المسلمين، فوجدت للمستشرقين في ذلك عناية فائقة، وقد تتبعْتُ الموضوع في الدراسات الاستشراقية فوجدت أنّ علامة الجزائر (محمد بن أبي شنب) كان قد قدّم دراستين باللّغة

الفرنسية، نشرهما في أعمال المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين الذي أقيم بالجزائر العاصمة سنة 1905م[57]، وكان ذلك فاتحة الدراسات في هذا الصنف من الكتب، فكل من جاء بعده من المستشرقين نسج على منواله، أو أسّس على منهجه[58]، لأنّه أدلى في هذا المؤتمر بأنموذجين؛ هما أهمّ مظهرين للدراسات المتعلّقة بهذا الصنف من الكتب، بيّن بأحدهما كيفية دراسة مثل هذه الكتب، ومثّل بالثاني لكيفية الاستفادة مما فيها في التأريخ لأمر معيّن؛ والدراستان هما:

أ- دراسة عن الشخصيات المذكورة في إجازة الشيخ عبد القادر الفاسي، نشرت في أعمال المؤتمر المذكور سنة 1905م، ثمّ نشرت بعد ذلك سنة 1907م، في كتاب مستقلّ من (560 صفحة).[59]

ب- دراسة عن كيفية وصول صحيح البخاري لسكان مدينة الجزائر، استنبطه من خلال استثمار بعض أسانيد أعلامها ومشايخها عبر القرون.[60]

ولا أستبعد أنّ ذلك قد نبّه ثلة من المستشرقون لأهمية هذه الوثائق وعظيم خطرها؛ فانكبوا على تمحيصها والنظر فيها، والاستفادة منها بكل الطرق، وقد عالجوا ذلك بالدراسات المستقلّة، أو بتحقيق بعض المشيخات المهمّة وترجمتها ودراستها في آن واحد، أو بتسليط الضوء على جوانب تستفاد منها، خصوصا وأنّ أكثر المستشرقين ولعا بهذا الموضوع هو المستشرق الفرنسي (جورج فاجدا **Georges Vajda**)(1908-1981)، الذي نشر فيه دراسات متعددة، فقد حقق ونشر -لوحده- مجموعة كبيرة من كتب هذا الفن مترجمة إلى الفرنسية، ومصحوبة بدراسات تحليلية لمحتوياتها، وقد جمعت له المستشرقة نيكول كوتار (**Nicole COTTART**) كتابا بعنوان (نقل المعرفة في الإسلام: من القرن 07 إلى القرن 18م)[61]؛ جمعت فيه غالب ما له من بحوث منشورة متعلقة بموضوع نقل المعارف عند المسلمين، كما أعدّت تلميذته المستشرقة الفرنسية (جاكلين سوبلي **Jacqueline SUBLET**) قائمة بعناوين أكثر أعماله المنشورة.[62]

الخاتمـــــة :

وأختم بعد ما ذكرت فأقول:

إنّ سنّة الرواية من مفاخر هذه الأمّة، وهي باقية فيها، ما بقي لها دينها.

إنّ لفنّ الرواية أغراض علمية أخرى غير معرفة صحة أسانيد المتون المسندة، وهي مفيدة للأمة.

قد كان للأمة الجزائرية حظها الأوفر من خدمة السنة المشرفة رواية ودراية خدمة نوعية.

لا يحسن بنا الاستهانة بالتقاليد العلمية العريقة للأمة الإسلامية في نقل تراثها، والعمل على إحيائها بالشكل المقبول، وإفادة الأمة منها أولى من طرحها وإهمالها.

إنّ نموذج العلامة أبي مهدي الثعالبي (وهو من المتأخرين) دليل على أنّ أمر الرواية لم ينته بعد، ولا استنفد أغراضه، بل هو قابع في انتظار من يقوم بحقه، من أهل كل زمان.

وأختم بهذا السؤال فأقول: ما المانع عند المشتغلين بالعلوم الشرعية عموما، والمشغولين بالحديث النبوي وعلومه خصوصا من الجمع بين الدّراية والرّواية معا؟!

المراجـــع:

سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي ـــ بيروت.

الإرشاد إلى مهمات علم الإسناد، شاه ولي الله الدهلوي، تح: بدر بن علي بن طامي العتيبي، دار الآفاق، ط1/ 1430-2009.

المفاخر السنية في الأسانيد العلية القدسية، عبد الحميد بن محمد علي قدس الخطيب (1278- 1334هـــ)، نسخة مخطوطة موجودة بمكتبة مكة المكرمة تحت رقم 92 سيرة وتاريخ: الورقة الأولى/ أ. وقد تمّ تحقيقها من قبل د. رضا بن محمد صفي الدين السنوسي، ونشرت في أحد أعداد (مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة).

المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، ابن حجر العسقلاني، تح: د.يوسف المرعشلي، دار المعرفة/ بيروت-لبنان، ط1/ 1413-1992.

الفوائد الجمّة في إسناد علوم الأمة، أبو زيد عبد الرحمن التمنارتي، تح: اليزيد الراضي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط2/ 1428-2007.

الترغي؛ عبدالله المرابط ، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية ق12هـــ: منهجيتها – تطورها – قيمتها العلمية، (أطروحة دكتوراه) في كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة عبد الملك السعدي/ تطوان- المغرب الأقصى؛ ط1/ 1420هـــ-1999م.

فهرسة محمد بن الحسن الحجوي المسماة مختصر العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم والتقى، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي(ت1376هـــ)، تحقيق د. محمد بن عزوز، دار ابن حزم/ بيروت ومركز التراث الثقافي المغربي/ الدار البيضاء، ط1/ 1424-2003.

أنجح المساعي في الجمع بين صفتي السامع والواعي، أبو اليسر فالح المهنوي الظاهري، دارا الشريف. (د.ت)

فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، باعتناء د.إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي/ بيروت، ط1406-1986.

صلة الخلف بموصول السلف، محمد بن سليمان الروداني، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي/ بيروت، ط1/1408-1988.

معجم شيوخ الذهبي ص13-14، تح: روحية عبد الرحمن السيوفي، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط1/ 1410-1990.

بحث ابن شنب (حول توصيل صحيح البخاري إلى سكان مدينة الجزائر)، ضمن أعمال المستشرقين عام 1905: ص105.

فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، بشير ضيف، ط: دار ثالة الجزائر 2002م.

دار الحديث الأشرفية بدمشق(دراسة تاريخية توثيقية)، محمد مطيع الحافظ: دار الفكر / دمشق، ط1/ 1421-2001.

أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي(502-575)، فهرسة ما رواه عن شيوخه ...، مكتبة الخانجي/ القاهرة. نقلا عن الأصل المطبوع بسرقسطة سنة 1893م.

أرابيكا؛ مجلة الدراسات العربية، مجلد 24، سنة (1982م).

actes du (XIVe)congres International des oriontalistes, tome (I,IV), Algiers 1905. (RECUIL DE MEMOIRES ET DE TEXTES publie en l'honneur du XIVe CONGRES DES ORIONTALISTES, PAR LES PROFESSEURS DE L'ECOLE SUPERIEURE DES LETRES ET DES MEDERSAS, ALGIERS 1905, KRAUS REPRINT, Nendeln/Liechtenstein, 1968).

ben cheneb (Mohammed), Etude sur les personages mentionnes dans l'edjaza du cheikh abd el qadir el fasy,(Extrait du tome (IV)des actes du (XIVe)congres International des oriontalistes) PARIS, ERNEST LEROUX, EDITEUR, 1907.

ben cheneb (Mohammed), DE LA TRANSMISSION DU RECUIL DE BOKHARY AUX HABITANTS D'ALGER, (RECUIL DE MEMOIRES ET DE TEXTES publie en l'honneur du XIVe CONGRES DES ORIONTALISTES, PAR LES PROFESSEURS DE L'ECOLE SUPERIEURE DES LETRES ET DES MEDERSAS, ALGIERS 1905, KRAUS REPRINT, NendelnL Liechtenstein, 1968.)

Georges Vajda, La transmission du savoir en Islam (VIIe-XVIIIe siecles) Edite par Nicole COTTART, Variorum reprints, London 1983

Jacqueline SUBLET , BIBLIOGRAPHIE DE GEORGES VAJDA(1908-1981), (Arabica, tome XXIX, 198?.

الهوامـــش :

(1) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي ـــ بيروت: 4/ 440.

(2) مقدمة كتاب الإرشاد إلى مهمات علم الإسناد، شاه ولي الله الدهلوي، تح: بدر بن علي بن طامي العتيبي، دار الآفاق، ط1/ 1430-2009: ص23.

(3) مقدمة المفاخر السنية في الأسانيد العلية القدسية، عبد الحميد بن محمد علي قدس الخطيب (1278- 1334هـــ)، نسخة مخطوطة موجودة بمكتبة مكة المكرمة تحت رقم 92 سيرة وتاريخ: الورقة الأولى/ أ. وقد تمّ تحقيقها من قبل د. رضا بن محمد صفي الدين السنوسي، ونشرت في أحد أعداد (مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة: ص239. ولا أذكر العدد.

(4) المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، ابن حجر العسقلاني، تح: د.يوسف المرعشلي، دار المعرفة/ بيروت، ط1/ 1413-1992: 1/75-76.

(5) الفوائد الجمّة في إسناد علوم الأمة، أبو زيد عبد الرحمن التمنارتي، تح: اليزيد الراضي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط2/ 1428-2007: ص61.

(6) فهرسة إدريس المنجرة (ص1 مخطوط الخزانة العامة بالرباط: د 1838 ضمن مجموع.) نقلا عن الترغي؛ عبدالله المرابط ، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية ق12هـــ: منهجيتها – تطورها – قيمتها العلمية، (أطروحة دكتوراه) في كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة عبد الملك السعدي/ تطوان- المغرب الأقصى؛ ط1/ 1420هـــ-1999م: ص86.

(7) ينظر فهرسة محمد بن الحسن الحجوي المسماة مختصر العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم والتقى، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي(ت1376هـــ)، تحقيق د. محمد بن عزوز، دار ابن حزم/ بيروت ومركز التراث الثقافي المغربي/ الدار البيضاء، ط1/ 1424-2003: ص8.

(8) محمد بن عزوز ، مقدمة تحقيق الفهرسة الصغرى والكبرى لأبي عبد الله محمد التاودي بن سودة : ص38.

(9) ينظر معجم مصطلحات الحديث وعلومه وأشهر المصنفين في ص67-68.

(10) ينظر الميلياري، حمزة، عُلوم الحديث في ضوء تطبيقات المحدثين النقاد: ص7.

(11) ينظر المرجع السابق: (1/35-36).

(12) المرجع السابق: (1/58) ؛ ذكر ذلك في سياق تعداده لمن روى عنه من أهل الآفاق.

(13) ينظر المرجع السابق: (2/806-807)

(14) حلاه بذلك صاحب (المشرع الروي)؛ ينظر المرجع السابق: (2/807)

(15)المرجع السابق: (2/807).

(16)المرجع السابق: (2/807).

(17) المرجع السابق: (2/807).

(18) المرجع السابق: (2/807).

(19) المرجع السابق: (2/807-808).

(20) المرجع السابق: (2/808)

(21) المرجع السابق (2/808).

(22) المرجع السابق: (2/833)، نقلا عن اليفراني.

(23) ينظر المرجع السابق: (2/589).

(24) ينظر المرجع السابق: (2/589).

(25) مقدمة (أنجح المساعي في الجمع بين صفتي السامع والواعي، أبو اليسر فالح المهنوي الظاهري: ص9، دارا الشريف. (د.ت)

(26) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، باعتناء د.إحسان عباس، دا الغرب الإسلامي/ بيروت، ط1406-1986: (96/1).

(27) ينظر المرجع السابق: (166/1).

(28) ينظر المرجع السابق: (168/1).

(29) ينظر المرجع السابق: (193/1).

(30) ينظر المرجع السابق: (209/1).

(31) ينظر المرجع السابق: (426/1).

(32) ذكروا أنها ثاني فهرسين عظيمين في القرون الأخيرة، ينظر تقديم د.محمد حجي لكتابه صلة الخلف: (ص5).

(33) فهرس الكتاني: (426/1)؛ ذكر ذلك في سياق ترجمته لمؤلفها.

(34) ينظر أول كلام الروداني في مقدمته لكتابه صلة الخلف: (ص21) وما بعدها. (صلة الخلف بموصول السلف، محمد بن سليمان الروداني، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي/ بيروت، ط1/1408-1988)

(35) ينظر -مثلا- أوّل حديث في معجم شيوخ الذهبي ص13-14، تح: روحية عبد الرحمن السيوفي، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط1/ 1410-1990.

(36) صلة الخلف: (ص31).

(37) فهرس الكتاني: (733/2).

(38) المرجع السابق: (239/1).

(39) المرجع السابق: (237/1).

(40) المرجع السابق: (502/1-503)

(41) المرجع السابق: (502/1)

(*) تحمل بعض أسانيد المتأخرين بعض الغرائب؛ كالرواية عن الجنّ، والمعمرين تعميرا خارجا عن المعتاد، وقد تناولها بعض العلماء بالمناقشة والتحليل في مؤلفات مفردة، ولا يتسع المقام لبسط الحديث فيها.

(42) ينظر بحث ابن شنب (حول توصيل صحيح البخاري إلى سكان مدينة الجزائر)، ضمن أعمال المستشرقين عام 1905: ص105.

(43) قد أرجأت دراستها والتعليق عليها إلى مؤلف مستقل سيخرج قريبا بإذن الله تعالى.

(44) فهرس الكتاني: (401/1).

(45)المرجع السابق: (502/1).

(46) المرجع السابق: (807/2).

(47) ينظر مجموع أسامي هذه الكتب في فيرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، بشير ضيف: (ص 113- 118).

(48) ينظر مقدمة (أنجح المساعي في الجمع بين صفتي السامع والواعي، أبو اليسر فالح المهنوي الظاهري: ص9.

(49) ينظر: دار الحديث الأشرفية بدمشق(دراسة تاريخية توثيقية)، محمد مطيع الحافظ: (ص217-218)، دار الفكر / دمشق، ط1/ 1421-2001.

(50) دار الحديث الأشرفية بدمشق، د. محمد مطيع الحافظ، دار الفكر/ دمشق-سورية، ط1/ 1421-2001، : ص218.، وعزا المؤلف هذا السند إلى وثيقة في كتاب (علماء دمشق وأعيانها: 2/ 812).

(51) فهرس الكتاني: (502/1).

(52) ينظر المرجع السابق: (501/1).

(53) قال الكتاني:" ظفرت منه بالمجلد الأول، وهو عندي عليه خط مؤلفه بالمقابلة والتصحيح.." المرجع السابق: (500/1).

(54) المرجع السابق: (500/1).

(55) المرجع السابق: (784/2).

(56) المرجع السابق: (426/1)؛ ذكر ذلك في سياق ترجمته لمؤلفها.

(57) ينظر؛ أعمال المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين:

actes du (XIVe)congres International des oriontalistes, tome (I,IV), Algiers 1905. (RECUIL DE MEMOIRES ET DE TEXTES publie en l'honneur du XIVe CONGRES DES ORIONTALISTES, PAR LES PROFESSEURS DE L'ECOLE SUPERIEURE DES LETRES ET DES MEDERSAS, ALGIERS 1905, KRAUS REPRINT, Nendeln/Liechtenstein, 1968).

و لم تترجم الدراستان لحد الساعة، وقد عقدت النية على القيام بذلك لحاجتي إلى ما فيهما في هذه البحث، ولكونهما باكورة الدراسات التي كتبت في هذا الفن، ولأجل تيسيرهما بين أيدي الباحثين باللغة العربية؛ فإنّ كثيرا منهم أشار إلى وجودهما بذكر العنوان دون الإفادة منهما بشيء.

(58) اعتنى قبله المستشرق الإسباني فرانسشكة كوديرا زيدين وتلميذه خلين ربارة بنشر فهرسة ابن خير الشهيرة، غير أنّهما لم يصدرا الكتاب بأي كلام عن هذا الصنف من الكتب، بل اقتصرا على التعريف بالكتاب ومؤلفه ونسخته المخطوطة، ثمّ نشر النصّ كما هو، فلم أعدّ ذلك في الدراسات السابقة. ينظر ترجمة مقدمة المحققين: من صفحة(هـــص)، أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي(502-575)، فهرسة ما رواه عن شيوخه ...، مكتبة الخانجي/ القاهرة. نقلا عن الأصل المطبوع بسرقسطة سنة 1893م.

(59) ينظر الكتاب في الجزء الرابع من أعمال المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين بالجزائر سنة 1905:

ben cheneb (Mohammed), Etude sur les personages mentionnes dans l'edjaza du cheikh abd el qadir el fasy,(Extrait du tome (IV)des actes du (XIVe)congres International des oriontalistes) PARIS, ERNEST LEROUX, EDITEUR, 1907.

(60) ينظر أعمال المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين:

DE LA TRANSMISSION DU RECUIL DE BOKHARY AUX HABITANTS ben cheneb (Mohammed), D'ALGER, (RECUIL DE MEMOIRES ET DE TEXTES publie en l'honneur du XIVe CONGRES DES ORIONTALISTES, PAR LES PROFESSEURS DE L'ECOLE SUPERIEURE DES LETRES ET DES MEDERSAS, ALGIERS 1905, KRAUS REPRINT, NendelnL Liechtenstein, 1968.)(pp99-115)

(61) ينظر

Georges Vajda, La transmission du savoir en Islam
(VIIe-XVIIIe siecles) Edite par Nicole COTTART, Variorum reprints, London 1983

(62) ينظر: أعمال جورج فاجدا:

Jacqueline SUBLET
, BIBLIOGRAPHIE DE GEORGES VAJDA(1908-1981), (Arabica, tome XXIX, 198? (Pp 315-329).

أرابيكا؛ مجلة الدراسات العربية، مجلد 24، سنة (1982م)، ص315-329)، و لم تغفل في هذه القائمة إلا القليل من أعماله.